

تفسير البحر المحيط

@ 195 .

{ انْطُرُوا ° إِلَى * ثَمَرَةٍ * إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ } النظر نظر رؤية العين ولذلك عداه بالي لكن يترتب عليه الفكر والاعتبار والاستبصار والاستدلال على قدرة باهرة تنقله من حال إلى حال ، ونبه على حالين الابتداء وهو وقت ابتداء الأثمار والانتهاء وهو وقت نضجه أي كيف يخرج ضئيلاً ضعيفاً لا يكاد ينتفع به وكيف يعود نضجاً مشتملاً على منافع ؟ ونبه على هاتين الحالتين وإن كان بينهما أحوال يقع بها الاعتبار والاستبصار لأنهما أغرب في الوقوع وأظهر في الاستدلال ، وقرأ ابن وثاب ومجاهد وحمزة والكسائي { إِلَى * ثَمَرَةٍ } بضم الثاء والميم . قال ابن وثاب : ومجاهد وهي أصناف الأموال يعني الأموال التي تحصل منه ، قال أبو علي : والأحسن أن يكون جمع ثمرة كخشبة وخشب وأكمّة وأكم ونظيره في المعتل لابة ولوب وناقة ونوق وساحة وسوح وقرأت فرقة بضم الثاء وإسكان الميم طلباً للخفة كما تقول في الكتب كتب ، وقرأ باقي السبعة { ثَمَرَةٍ } بفتح الثاء والميم وهو اسم جنس كشجرة وشجر والثمر حتى الشجر وما يطلع وإن سمى الشجر ثماً فمجاز والعامل في إذا { انْطُرُوا ° } وقرأ الجمهور وينعه بفتح الياء وسكون النون ، وقرأ قتادة والضحاك وابن محيص بضم الياء وسكون النون ، وقرأ ابن أبي عبله واليماني ويانعة اسم فاعل من ينع ونسبها الزمخشري إلى ابن محيص ، وقال المروزي : { إِذَا أَثْمَرَ } عند لا ظل له دائم فلا ينضج ولا شمس دائمة فتحرق أرسل على كل فاكهة ريحين مختلفين ريح تحرك الورق فيبدو الثمر فتقرعه الشمس وريح أخرى تحرك الورق وتظل الثمر فلا يحترق . .

{ إِنََّّ فِي ذَالِكُمْ ° لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } الإشارة بذلكم إلى جميع ما سبق ذكره من فلق الحب والنوى إلى آخر ما خلق تعالى وما امتن به ، والآيات العلامات الدالة على كمال قدرته وإحكام صنعته وتفردته بالخلق دون غيره ، وظهور الآيات لا ينفع إلا لمن قدر الله له الإيمان فأما من سبق قدر الله له بالكفر فإنه لا ينتفع بهذه الآيات . فنبه بتخصيص الإيمان على هذا المعنى وانظر إلى حسن مساق هذا الترتيب لما تقدم { إِنََّّ اللّٰهَ ° فَالِقُ الْغَابِ وَالذَّوَى } جاء الترتيب بعد ذلك تابعاً لهذا الترتيب فحين ذكر أنه أخرج نبات كل شيء ذكر الزرع وهو المراد بقوله : { خَضِرًا نَّضِيجًا مِّنْهُ ° حَبًّا مَّتَرًا كِبَاءً } وابتدأ به كما ابتدأ به في قوله : { فَالِقُ الْغَابِ } ثم ثنى بما له نوى فقال : { مِنْ ° * الذَّخْلِ مِّنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ° } إلى آخره كما ثنى به في قوله : { وَالذَّوَى } وقدم الزرع على الشجر لأنه غذاء والثمر فاكهة ، والغذاء

مقدم على الفاكهة ، وقدم النخل على سائر الفواكه لأنه يجري مجرى الغذاء بالنسبة إلى العرب ، وقدم العنب لأنه أشرف الفواكه وهو في جميع أطواره منتفع به حنوط ثم حصرم ثم عنب ثم إن عصر كان منه خل ودبس وإن جفف كان منه زبيب ، وقدم الزيتون لأنه كثير المنفعة في الأكل وفيما يعصر منه من الدهن العظيم النفع في الأكل والاستصباح وغيرهما ، وذكر الرمان لعجب حاله وغرابته فإنه مركب من قشر وشحم وعجم وماء ، فالثلاثة باردة يابسة أرضية كثيفة قابضة عفصة قوية في هذه الصفات ، وماؤه بالضد ألد الأشربة وألطفها وأقربها إلى حيز الاعتدال وفيه تقوية للمزاج الضعيف غذاء من وجه ودواء من وجه ، فجمع تعالى فيه بين المتضادين المتعاندين فما أبهر قدرته وأعجب ما خلق . .

{ وَجَعَلُواْ لِلّٰهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّۃَ وَخَلَائِقَهُمْ } لما ذكر تعالى ما اختص به من باهر قدرته وامتقن صنعته وامتنانه على عالم الإنسان بما أوجد له مما يحتاج إليه في قوام حياته ، وبين ذلك { لَقَّوْهُمْ يَعْزِلُونَ * يَعْزِلُمُونَ } { لَعَلَّاهُمْ يَفْقَهُونَ } { لَا يُؤْمِنُونَ } ذكر ما عاملوا به منشئهم من العدم وموجد أرزاقهم من إشراك غيره له في عبادته ، ونسبه ما هو مستحيل عليه من وصفه بسمات الحدوث من البنين والبنات ، وقال الكلبي : نزلت في الزنادقة قالوا إن الله خلق الناس والدواب وإبليس خالق الحيات والعقارب والسباع ويقرب من هذا